قدم مجموعة مختارة من اعماله في خمس اسطوانات

وجدي شيا: اغنيات الاسفاف تمول عبر الاذاعات بأهداف عدائية ضد الشعب!

بيروت ـ «القدس العربي»

ـ من زهرة مرعي:

حقق الموسيقي وجدي شيا حلماً راوده منذ زمن وأصدر مجموعة من أعماله على خمس اسطوانات مدمجة. هذه المجموعة التي حملت اسمه جمعت الموسيقى البحتة وعملين مسرحيين وأغنيات عاطفية وأغنيات وطنية.

موسيقى وجدي شيا المتولدة من عمق الشرق العربي تستحق أن تتصدر المكتبات الموسيقية في منازلنا، وبامكانها أن تساهم في تشكيل ذائقة الصغار وتمتع الكبار الذين اعتادوا على الاستماع الدسم والراقي.

وبمناسبة صدور أعماله غير الكاملة كان مع وجدي شيا هذا الحوار الذي عرج على واقع الأغنية اللبنانية والعربية. هنا التفاصيل:

■ خمس اسطوانات قدمتها رزمة واحدة هل هي المجموعة غير المكتملة للفنان وجدي شيا؟

■ **انها مجموعة مختارة من أعمال قدمتها ولم تكن محفوظة في أسطوانات مدمجة ووصلت الى قلة من الناس. حلم قديم راودني بأن تكون هذه الأعمال موجودة في مكتبات الناس الذين يطلبون الأعمال الفنية الجادة والراقية. وأتمنى أن يكون بدل هذه الأعمال في متناول كل الجمهور لأنها في الحقيقة تتضمن نصوصاً شعرية غنية جداً، وموسيقى جميلة، وأصوات أدتها بأسلوب جميل ومتقن. ويمكن لهذه الأعمال أن تكون مرجعاً في النمط الموسيقي الذي نعمل عليه، كما يمكن تقديمها للأجيال بثقة وضمير مرتاح.**

■ ما هي الأعمال التي اخترتها لهذه الأسطوانات؟

■ **للتوضيح أقول بأن الأعمال التي اخترتها هي بالكامل من انتاجي وحقوقها لي. والأصوات الغنائية التي ضممتها الى تلك المجموعة تعود للفنانة لطيفة في قصيدة «اذا الشعب يوماً أراد الحياة»، والفنانة نورا رحال في الأغنيات التي أدتها في مسرحية «أنا شرقية»، ومسرحية «أورنينا» بصوت غادة غانم. هذه الأعمال تتضمن الموسيقى البحتة وتضم تسع مقطوعات، وسي دي يتضمن عشر أغنيات عاطفية وفيها أصوات نهاد فتوح، نورا رحال، غادة غانم، محمد العتر، توفيق شهيب والكورال. وسي دي الأغنيات الوطنية المسجلة بأصوات الكورال في الغالب، وسي دي لكل من مسرحيتي «أورنينا» و«أنا شرقية».**

■ وما هي محتويات سي دي الوطنيات؟

■ **يتضمن أغنية لفلسطين من كلماتي تقول «جايين يا فلسطين»، وأغنية للأسرى اللبنانيين تقول «ضويتوا هالعتمة وحرقتوا النار بسجن الدني انتو الأحرار». وأغنيات أخرى.**

■ هل وجدت تعاوناً سريعاً لانتاج مثل هذا العمل؟

■ **صاحب شركة أوغاريت يوسف دندش اقتنع بهذه الأعمال وكانت صيغة محددة للتعاون بيننا آمل أن تكون ناجحة. وهذه الأعمال موجودة في كافة المكتبات الموسيقية.**

■ لمن قررت اهداء هذا الانتاج الدسم في حين أننا نعيش عصر الأغنيات اليومية؟

■ **كنت أتمنى لو امتلكت المال لوزعت هذه الأعمال مجاناً للمحبين والراغبين بالأعمال الموسيقية الجيدة كي أساهم في نشر موسيقى مختلفة عن تلك المفروضة على الناس كمثل أغنيات «عتريس، أنا دانا، أنا هيفا، الواوا». مثل تلك الأغنيات تمول عبر الاذاعات بأهداف عدائية ضد الشعب. لقد أوصلوا شريحة لا بأس بها من الشعب الى حالة عدم الاهتمام وبالتالي القبول بأي شيء يقدم لهم.**

■ لكن هذا الزمن يتضمن غناء جيداً؟

■ **لست أنفي وجود الغناء الجيد، ما نفتقده هو السياسة الجيدة في نشر الموسيقى. في عصرنا هذا يواجه الفنان المحترم بالكثير من الضربات، والفنان المبتذل أسهمه الى ارتفاع دائم.**

■ ألا تجد نفسك كملحن غائب عن الأصوات الجميلة والناجحة التي تبحث عن اللحن الشرقي؟

■ **أتعامل مع فني بعيداً عن مقولة «الغاية تبرر الوسيلة». أهتم كثيراً بكيفية الوصول للصوت الجميل وبالتالي وصوله لي. انها المعضلة الدائمة في حياتي. الفنانون اعتادوا وجود كم من الملحنين يسجلون الأغنيات ويعرضوها عليهم. عملي له أسس مختلفة حيث أعمل لتأليف الأغنية للصوت بما يتضمن الكلمة واللحن معاً في غالب الأحيان.**

ليس من عادتي الاتصال بفنان (كائناً من كان). وللأسف من يملكون الأصوات الجميلة يصلون أحياناً الى مكان من النجومية يعتقدون فيها أن اتصالهم بملحن يعتبر تنازلاً. وجميعهم يطلب ألحاناً عندما يلتقي بي صدفة. لقد تم التعاون مع الفنانة لطيفة بناء على اتصال منها في أغنية وطنية من كلماتي وألحاني وهي «أمشي مشية مارد» وقد تم بثها خلال العدوان الاسرائيلي على لبنان.

■ لكن هذا الاقصاء للذات يلعب ضدك كملحن؟

■ **سبق ولحنت للسيدة سميرة توفيق، وائل كفوري الذي سيتكرر التعاون معه قريباً من خلال لحنين، وفي العام الماضي لحنت ليوري مرقدي. في عصر السرعة والمادة التعاون بين الملحن والمغني لم يعد كما في السابق. الكل على عجلة من أمره.**

■ كيف يمكنك أن تتآلف مع هذا العصر دون تنازلات؟

■ **أنا مرن، لكني على خلاف مع من يطير خارج حجمه الطبيعي. لست مضطراً للركض خلف نجم قد يكون صوته عادي أو أقل. بكل محبة أقول لهؤلاء النجوم أن المهم هو الأثر الذي يتركونه.**

■ لماذا لم يتطور العمل بينك وبين لطيفة في اطار الأغنية العاطفية في حين تعاونت في سي دي كامل مع زياد الرحباني؟

■ **أقف الى جانب لقاء لطيفة والصديق زياد الرحباني. ربما هي ترغب حالياً بالتعاون مع زياد، وربما ترغب مستقبلاً بالتعاون مع وجدي شيا. وكان لي تجربة ناجحة في عمل كامل مع الفنانة باسكال صقر. وتم تصنيفه نقدياً من أهم الأعمال في الوطن العربي على صعيدي اللحن والصوت والاتقان الفني.**

■ يبدو أنك تهتم بشكل العلاقة مع الفنان؟

■ **هذا طبيعي لأن المزاج هو الذي يتحكم بالابداع مع فنان معين. ليس بامكاني التعامل مع مغن أو مغنية بالمراسلة، من المفترض أن يصبح بيننا نوع من الكيمياء. اللحن يلزمه ود بين الملحن والمغني بعيداً عن عقود العمل. الايمان هو أساس للحوافز.**

■ هل يمكنك أن تسمي الأصوات التي تعجبك في هذه المرحلة؟

■ **لم لا؟ وائل كفوري، فارس كرم الذي أحب صوته كثيراً ولست أدري لماذا تأخر التعاون معه رغم التواصل الانساني بيننا. ماجدة الرومي وباسكال صقر من الأصوات الجميلة. نانسي عجرم رغم نجاحها لدي تصور لعمل معها من شأنه أن يرفعها الى مراتب أخرى.**

■ هل تلح عليك رغبة بأن يتلازم اسمك مع ألحان ضاربة بالتعبير السائد؟

■ **هناك فرق بين عمل ناجح وعمل ضارب. ولأني أعرف كيف يتم بث الألحان والأغنيات لذلك لا أزعل لأن أغنياتي ليست في الاذاعات. عندما أكون مع ولدي لا أخجل ولا أخاف من اسماعهما الموسيقى التي أكتبها، وهذا ليس غروراً. أتلقى الكثير من الاطراءات على أعمالي من موسيقين كبار، فنانين ومفكرين أيضاً وهذا ما أعتبره نجاحاً. أفرح عندما تبث اغنياتي عبر أثير اذاعتي (بي بي سي) و(الشرق) لأنهما تعملان بدون غايات. ما يقال عنه «هيت» ليس مقياساً.**

■ ما رأيك بشركتي الانتاج اللتين تضخان في سوق الأغنية عشرات لا بل مئات الأغنيات من مختلف الأشكال؟

■ **جيد أن تكون لدينا شركات انتاج وقد تكون نوايا مؤسسيها سليمة، لكن أداء مدراء تلك الشركات هو محل تساؤل. لماذا لا تستفيد تلك الشركات من تجربة صوت الفن في مصر وشاهين في لبنان؟ هؤلاء تعاملوا مع عمالقة ويومياً استثمارهم هذا يدر عليهم الأرباح لأنهم قدموا أصواتاً و«أعمالاً» خالدة. الشركات الموجودة حالياً تقبل الفنان على أساس صوته وشكله وحتى نسق شعره. أنا على استعداد لمناقشة الأمير الوليد بن طلال في مسيرة روتانا لأني أعتقد بأنه يحمل نوايا سليمة تجاه الفن والحل لعمل هذه الشركة موجود معي.**

■ قدمت برامج منوعات وبرنامج هواة من (نيو تي في) فماذا قالت لك هذه التجربة؟

■ **انها تجربة مفيدة. عندما كنت في نيو تي في لم يكن انتشارها بقدر ما هو الآن. سعيت الى برامج متميزة تجمع بين الرصانة والفن. كنا في مرحلة بناء وعلى مدى سنتين من العمل كان مستحيلاً بناء استراتيجية فنية لمحطة تلفزيونية.**

■ هل لا يزال التلفزيون يجذبك؟

■ **بت أمتلك مؤسسة للانتاج التلفزيوني وأتعاون مع العديد من المحطات، وقريباً هناك تعاون مع المخرج سيمون أسمر. وسيكون برنامجاً في اطار المنوعات باعتقادي مختلفاً عن السائد دون الدخول في التفاصيل.**

وجدي شيا (القدس العربي)

مهرجان المسرحيد الخامس في عكا:

انتفاضة درامية نسوية.. بين تفريغ الحكاية وتفنين الحالة

عكا ـ من رجاء بكرية:

أغلق مهرجان المسرحيد الخامس أعماله في قاعات بستان الباشا في مدينة عكا. حدث ذلك وسط مظاهر احتفالية لافتة. وقد لخص المهرجان عروضه بفوز مسرحيديتين تنافستا على الانتاج الأفضل على مستوى الفرجة المسرحية، (الاخراج النوعي، المضموني والأداء الفني)، وعلى مستوى الأداء التمثيلي هما «جوزفين» للمسرحية عنات حديد ـ مسرح النقاب و«حكاية حصان» للمسرحي نهد بشير ـ مسرح المرايا. وقد تقاسمتا المسرحيديتين الجائزتين على مستويي العرض الاجمالي والأداء التمثيلي.

كما منحت المسرحية ميساء خميس شهادة تقدير على قوة أدائها في النص المطور عن رواية «آنا كارنينا».

ولا بد أن ننوه الى أن عدد الشخصيات المشاركة في أعمال المهرجان لهذه السنة قد توزع بين مشارك منافس على اللقب الأفضل ومشارك في اغناء الحضور الابداعي للمونولوغ الفردي حين يتجاوز جدار الصوت الواحد عبر تقنيات غير مطروقة أو مطورة.

وقد شارك في اطار المنافسة على اللقب خمسة مسرحيديات وردت على النحو التالي:

جوزفين، تمثيل عنات حديد، اخراج: صالح عزام. «حكاية حصان»، تمثيل: نهد بشير، اخراج: آفي بريخر. «الفاعلة التاركة»، تمثيل: سناء لهب، اخراج: نايف خير. الأمير الصغير، تمثيل: ايهاب بحوث، اخراج: حزام زريق. هذه آنا، تمثيل: ميساء خميس، اخراج: نسرين فاعور.

على هامش المهرجان شاركت المسرحيديات التالية:

ركب، تمثيل: خليفة ناطور. امرأة أخرى، تمثيل سامية بكري عن رواية ماركيز، «خطبة لاذعة أمام رجل جالس». يمكن بكرا، تمثيل: الهام عراف. كبوتشينو في رام الله، سلوى نقارة. أكون، تمثيل: ليمور باركو. ظلال، تمثيل: روعي ريشف.

وككل عام خرجت الصحافة المسموعة والمكتوبة بانطباعات متضاربة حول المسرحيدية الأفضل وحول نسبة الغبن الذي لحق بالمُنتَج الفني الاجمالي للمسرحيديات المشاركة ومخرجيها.

وتوخيا للصدق والموضوعية، وحفاظا على جمالية هذه الانتفاضة الدرامية اللافتة أحرص على خوض غمار هذا الحدث توثيقا وتقريرا. نقدا هاويا لقطبي التماس بين التوقيعي والتخييلي. الوقعي والايقاعي.

واذا كنا نتحدث تحديدا عن تعددية زخمة للأصوات التقنية، فمن الواضح أن مسرحيد 06 يخلع هذه السنة باب الاحتراف عبر احتياله على منطق التجريب الكلاسيكي بمعنى أنه يمر عنه صفحا لصالح التجريب الهاوي المستكشف لأبعاد المونولوغ. وهو يلجأ الى تطوير علاقة ثنائية من دفيئة الصوت الواحد على مستوى أنا الآخر النفسي الحسي شأنه على المستوى الدرامي. هذا التبني الجريء لفكرة التحديث التجريبي في اطار التوظيف الحسي للمضامين يكشفنا على تساؤلات حذرة بصدد الأبواب التي سيفتحها هذا الفن مستقبلا على أدواته ومضامينه، والأهم من ذلك مساحات حضوره. هل سيحتفظ بالواقع خوفا من المتخيل أم أنه سيحرص على دمج المستويين معا كسبا لفكرة التداخل الحر بين فنون الوعي المحسوس والمجرد.

وعليه سوف نتذكر أن مسرحيد 05 حين حافظ على التعددية المجالية مغيبا حضور الصوت الدرامي الواحد فانه حرص في مسرحيد 06 على تأكيد حضور هذا الصوت متداخلا مع أصوات كثيرة وتأجيجها بالضمائر المتعدية واللازمة، المفتوحة والمغلقة، وسط اعتناء لافت بتأكيد الايقاع النفسي للحوار الفردي، (المونولوغ). كما نلاحظ اعتناءه بانشاء مساحة صوتية خارجية موازية للأخرى الداخلية، وقد يتحول المونولوغ الفردي الى ديالوغ ذي أبعاد حسية عالية. ودائما نلاحظ حرصا على حضور المتخيل، بل واستحضار أجزائه كالسمكات الورقية في جوزفين، العربة واللجام في «حكاية حصان». الأقمشة والألوان في «آنا كارنينا». الديالوغ الايقاعي الغنائي في «الفاعلة التاركة» متزامنا مع الدمى القطنية، والصورة المتحركة في «الأمير الصغير».

عنات حديد (القدس العربي)

كما بدا واضحا أن المسرحيديات المشاركة بمجملها قد أخذت بتوصيات النقد حول ضرورة تأصيل لغة التفنين الصوتي ايقاعا وغناء وفق جاهزية العمل، يضاف اليها حرصها على ملأ الفراغ المرئي بالصورة والجسد. فنادرا ما يزكمنا الصدى بوحدته وبرودة أجوائه. وقد أعزو هذا الاختلاف النوعي في البنية الفنية الاجراجية الى الطاقات الشابة التي أتت بمساحات نفسية جاهزة للاستقبال والتصدير والتكوين معا. هذه الطاقات كانت قد اختبرت قدراتها على مدى الدورات الثلاث السابقة. حاورت ضعفها، وقبضت على مرتكزات قوتها.

فنهد بشير شارك في دورتين سابقتين للمهرجان، وقد تابعت تململه واستجماعه التدريجي لمساحات وعيه الفكري والدرامي الحسي. وقد اعتقدت في حينه أنه ربما لم يعثر بعد على المخرج المناسب الذي سيفتح قنواته الدرامية. وبدا واضحا أنه بحاجة لمن يعيد اليه احساسه الواعي بثوابت عالمه القريب كي يأخذها أو تأخذه الى متحركات وجوده وفضاءاته. وقد لاحظت أن العمل الجديد «حكاية حصان» قد أعاده الى نفسه بالدرجة الأولى، وأحدث توافقا نفسيا بين ما يعرفه هو عن نفسه وما يعرفه الآخرون عنه، وقد يحتسب هذا انجازا ملفتا لمخرج العمل اذ أنه ضمن السياق الحكائي عمل على توتير العلاقة بين شخصياته عبر تقمص عصبي وسريع لشخصية الحدث وهكذا نجح في تخليص الدراما من فخ الحكاية. وبنظرتي للحاصل يبدو واضحا أن الحصان هو نتيجة حتمية للصراع الفكري الدرامي أكثر مما كان منعطفا متوقعا للدهشة الروحية ووقعا محتملا لوتيرة المعايشة اليومية. فيما سرقت «جوزفين» ايقاع الباطن بكل تضارباته الحسية ـ نفسية. وقد اشتغلت، جوزفين، «عنات حديد» بذكاء ضمن نص ذكي على أبعاد العمق فظهرت الدراما صدى حسيا للحالة المشهدية أكثر مما بدت حالة مجسدة للفكرة المسرحية. الحركة لديها بدون وزن، والكلام بخفة فقاعة هواء. ولذلك بدا الحدث مختصرا تقصفه سطور عجلة من التفاصيل ثم تغلقه حقيقة غير متوقعة، وهكذا ظل السياق الدرامي مشدودا الى تموجات القلب والمخيلة التي لا تريد أن تلون الحقائق بمزاجية محتملة. فالرجل الجميل الذي يرميه البحارة للسمك هو رجل قاس وعدائي تضربه هي بصخرة وترميه للسمك. والطفل الذي يحرك فكرة المسرحيدية بكل مستوياتها ليس الا حكاية أم حالمة بطفل لن يأتي الى العالم أبدا.

هذه الحقائق وسواها تأسر المشاهد في طقس انكشافاتها التلقائية والمرنة. لا توجد هنا سمفونيات مرعبة تغزو الشخصيات كي تذيل مساحاتها الزخمة أو الفارغة. في هذه المسرحيدية ينزل مطر دون غيم فيغرق القلب ويبلل المخيلة بالرؤى والصور. وقد أعتبر ما حدث ظاهرة في الصناعة المسرحية بكل ما ترمي اليه من أبعاد. فهي لم تتخل عن التقنيات التحديثية. الايقاع الصوتي، الصورة، والكتلة. أخفضت ايقاع المونولوغ ومنحت مساحات واسعة للصمت وهو ما لا يعرفه فن المسرحيد عن صناعته. والغريب أنه كلما ارتفعت أسوار الصمت ازداد حضور اللغط والثرثرة. الكلام نزل من فم السمكة وفم المؤدية وحفيف الأوراق المعلقة ومشى تحت أبداننا وفي حلوقنا، هناك تماما انحبست الغصة وانحدرت الدمعة.

فمن الواضح اذن أن مسرحيد هذا العام يشكل انتفاضة نسائية ينبض بمونولوغ نسوي مدهش التعددية في تقنيات تفريغه للهجس. وصحيح أن فكرة التفريغ ليست لصالح الدراما تماما لأنها تأسرها في اطار الضمير الواحد والصوت التعبيري المباشر، لكن انفتاح هذا التفريغ على فكرة الدمج التقني حرر الأعمال من انحسارها نحو خصوصياتها البحتة، ويبدو أن المسرحيديات قد أفادت الواحدة من تجربة الأخرى. واللافت أيضا أن المسرحيديات اللافتة تعتمد غالبا على مرجعيات أجنبية بمعنى أنها ليست نصوصا عربية في أصولها. ونحن نتوقع مستقبلا أن تشهد هذه الحالة النسوية توقيعا نوعيا لمشهدية درامية لم تؤد بعد ستحرص حتما على تجهيز الأعمال القادمة بتعددية الأصوات مضمونيا وتفنين لمستويات الفرجة المسرحية، وربما من هنا ينشأ ممر عبور حر بين السياق الدرامي لساحتي العرض والفرجة. وقد ينسرق مؤدي العمل لكلاسيكيات المسرح اليوناني، ونحن نريد ارتدادا نحو الأصالة سيجري لصالح الجودة الدرامية المضمونية أكثر مما سيعتني بالشكل الدرامي. ولعلني اذ أختم مداخلتي السريعة حول مفهوم التفريغ في المسرحيديات النسوية أستحضر معها مسرحيدية «آنا كارنينا» لميساء خميس التي عملت على تفريغ الشخصية من مكونات عالمها عبر خطاب حاد أسر الحضور بقوة مفرداته. كأنها حاولت أن تستحضر عبر خطابها الموجه تفاصيل الحدث دون خوض في تفاصيلها هي. هواجس البطلة الذاتية وشكواها كأنثى مستلبة دون أن تصدر معايشة حقيقية لتفاصيل الصراع. ويبدو أن المؤدية، ميساء خميس كانت في أزمة ولذلك حرصت تقنيات التفريغ لديها على الالقاء الغيبي دون خوض في التفاصيل، ورغم ذلك فان الأمر لا يلغي قوة حضورها ضمن خطابها اللاذع والشرس للرجل الذي يعتم على وجودها. ويبدو أن عبور المساحات أثناء العرض قد سلب الممثلة انشغالها الحسي بالشخصية التي تستحضرها. لم تكن حاجة لهذا الاسراف في اختبار المساحة والمسافة.

عند تقنيات التفريغ الحسي سأتوقف كي أعد باتمامها ضمن مداخلة اضافية. عنها وعن النساء اللواتي حضرن أو غبن عن مساحات العرض في مهرجان المسرحيد الخامس.

فضائيات

دراما السيرة الذاتية: مسلسلات في وجه العاصفة!

محمد منصور*

■ مسلسلات السيرة الذاتية التي تصور حياة مشاهير الفن والأدب والتاريخ، والتي قدمتها الدراما العربية في موسم رمضان التلفزيوني المنصرم... واجهت العديد من المشكلات والمآزق، والاعتراضات والاحتجاجات التي وصل بعضها الى القضاء، وهو امر يتكرر دائما مع هذا النوع من المسلسلات التي تتخذ من سيرة شخصية عاشت في الواقع محورا لها، على سبيل التأريخ الذاتي لتفاصيل حياة تلك الشخصية وظروف صعودها لتحتل موقعها الخاص في الوجدان العام، أو بغية قراءة المرحلة التاريخية والعصر الذي تفاعلت تلك الشخصية معه فصنعها وصنعته!

ولعل أكثر الأمثلة حضورا في موسم رمضان هذا العام، كان مسلسل (العندليب) الذي كتبه د. مدحت العدل، وأخرجه جمال عبد الحميد، ولعب فيه دور عبد الحليم (شادي شامل) بطل مسابقة البحث عن العندليب التي أعدت لها قناة (ام.بي.سي) في وقت سابق برنامجا تلفزيونيا ضخما لهذا الغرض... ثم مسلسل (السندريللا) الذي يروي كما هو معروف حياة النجمة الراحلة سعاد حسني، والذي كتب قصته (ممدوح الليثي) واعد السيناريو والحوار له السيناريست عاطف بشاي، وأخرجه سمير سيف، ولعبت فيه النجمة الشابة منى زكي دور السندريللا.

فعبد الحليم حافظ، ومثله سعاد حسني أيضاً شخصيتان معاصرتان، حاضرتان في أذهان رفاق الدرب وشهود المرحلة، وفي أذهان الجمهور العريض أيضا الذي واكب مراحل فنهما وتألقهما... وبالتالي فان هذه المعاصرة كانت عاملا حساسا ودقيقا من عوامل تقييم كلا المسلسلين، وتلمس مدى نجاحهما في مقاربة الشخصيتين المستلهمتين، بل والشخصيات الواقعية الأخرى التي ظهرت معهما أو من حولهما... والواقع فلم يكن الحكم ـ في هذه الناحية ـ في مصلحة أي من العملين المذكورين.. فعدا عن الأخطاء التاريخية التفصيلية التي فندها المؤرخون والنقاد الفنيون... كان هناك تضارب مربك للمشاهد في تقديم الأحداث ذاتها التي تقاطعت في حياة عبد الحليم وسعاد حسني في آن معاً، بحكم العلاقة التي ربطت بينهما في الواقع... ففي حين أكد مسلسل (السندريللا) زواج سعاد حسني من عبد الحليم، فان مسلسل (العندليب) لم يؤكد ذلك... ناهيك عن تفاصيل أخرى تساءل المشاهد معها: أين تكمن الحقيقة... وأي العملين كان أقرب اليها؟!

لكن المشكلة الحقيقية التي واجهت كلا العملين، أن بطليهما لم ينجحا على الاطلاق في الاقتراب من الشخصيتين المستلهمتين، وابراز ألقهما الروحي والفني على الشاشة... ففي حين تحول عبد الحليم على يد الشاب شادي شامل، الى شبه فيزيولوجي... أي الى صورة متشابهة تفتقر الى العمق، والى ألق الاحساس الذي مكن عبد الحليم رغم قدراته الصوتية المحدودة من أن يتربع على عرش النجومية الطاغية لسنوات طويلة بعد رحيله... تحولت سعاد حسني على يد النجمة الموهوبة منى زكي، الى مجرد نظرات حالمة يعتريها الكثير من القلق الانفعالي، الذي لم ينتج مع كل أسف ذلك الحضور الأخاذ لممثلة استثنائية في كل أدوارها، جسدت روح الفتاة الريفية بخفة وظرف، وعكست طموحات ابنة المدينة العصرية بانطلاقتها المتوثبة نحو الحياة، مثلما جسدت عذابات المرأة الناضجة بأبعاد نفسية مركبة، تفيض بقوة التعبير... لقد كانت منى زكي تائهة أمام أبعاد شخصية كهذه... وكانت سعاد حسني الأصل، تطل بقوة من الذاكرة، لتهزأ من اقتفاء الأثر في المكياج والملابس وتسريحة الشعر... وبعض الحركات الطفولية المستعارة من أدوار سعاد التمثيلية في بعض الأفلام!

دعاوى مستعجلة

■ والأمر نفسه انسحب على الشخصيات المحيطة بهما، حيث سقط مدحت صالح سقوطا مريعا في تجسيد دور عبد الحليم أمام منى زكي في (السندريللا) وكان حضور الشاعر الكبير صلاح جاهين الدرامي مهلهلا وضعيفا، الأمر الذي دفع كاتب القصة ممدوح الليثي وكاتب السيناريو عاطف بشاي للتبرؤ من العمل، والزعم بأن هناك اضافات لا علاقة لهما بها... في حين رفعت المطربة نجاة الصغيرة، التي جسدت دورها المطربة (غادة رجب) دعوى مستعجلة للمطالبة بايقاف المسلسل، على خلفية تصوير علاقتها بالشاعر كامل الشناوي التي كتب لها (أو عنها) أغنية (لا تكذبي) باعتبارها علاقة تتلاعب فيها بمشاعره.. وهو الأمر الذي اعتبرته نجاة اساءة لها، رغم أن صناع العمل أطلقوا عليها اسم (نجوى) كنوع من التمويه المفضوح!

وفي كل الأحوال كنا أمام عملين لا يقدمان تصورا مقنعا أو مقبولا للشخصتين المستلهمتين... ليس بسبب اعتراضات المقربين وزملاء المسيرة الفنية، وليس بسبب التفاصيل الهامشية المختلف حول دقتها، وانما بسبب ضعف التصور الفني الذي لم يرق في وجدان جمهور المتلقي الى الصورة الأصل... وهو أمر ليس بالمستحيل، كما رأينا في مسلسل (أم كلثوم) الذي استطاع أن يقنعنا بإقترابه الفني من شخصية وعصر سيدة الغناء العربي.

لكن الطريف في مسلسلات السيرة الذاتية، أن الاعتراض لم يطل فقط تلك التي تناولت شخصيات معاصرة، بل شمل كذلك المسلسلات التي تناولت شخصيات تاريخية عاشت قبل قرون، فها هي مجموعة من الشخصيات التي يمتد نسبها الى العباسيين، تصدر بيانا تهاجم فيه مسلسل (أبناء الرشيد الأمين والمأمون) الذي أخرجه شوقي الماجري، ولعبت بطولته مجموعة من الفنانين السوريين العرب، في مقدمتهم النجم رشيد عساف بدور هارون الرشيد... هاهو البيان، يعبر عن الاستياء البالغ مما وصفه بـ (الافتراء والأكاذيب التي احتواها المسلسل) وفي تشويه صورة الخليفة العباسي الذي كان يغزو عاما، ويحج عاما... وفي تصوير صراع الأخوين على السلطة بعد وفاة أبيهما... ناهيك عن اعتراض آخر واجهه المسلسل من أئمة الطائفة الشيعية، بسبب تجسيد شخصية الامام (علي بن موسى الرضا) التي اعتبر البيان الذي وجه لقناة (أم.بي.سي) التي انفردت بعرض المسلسل؛ أن هذه الشخصية: (من الشخصيات ذات الخصوصية والمكانة الخاصة لدى الشيعة الاثني عشرية في العالم الاسلامي، وان مجرد تمثيله بممثل في مسلسل يعتبر انتهاكا واضحا وصريحا لمشاعر الشيعة جميعا).

اعتراضات تاريخية

■ أما مسلسل (خالد بن الوليد) الذي كتبه السوري عبد الكريم ناصيف، وأخرجه محمد عزيزية، وجسد فيه دور سيف الله المسلول الممثل السوري باسم ياخور، فقد أثار اعتراض الأزهر الذي يرى بعدم جواز تصوير صحابة رسول الله (ص) في الدراما، وخصوصا العشرة المبشرين بالجنة... فضلا عن أن بعض الممثلين ـ كما ترى هيئة الأزهر ـ قد يكون هناك اعتراض على سلوكياتهم خلال تاريخهم الفني، الأمر الذي لا يتفق مع ما يجسدونه من مواقف في سير هؤلاء العظماء، وما يمثلونه من مكانة دينية في نفوس المسلمين.

وثمة الكثير مما يمكن أن يقال نقديا عن الرؤية المدرسية التي كتب بها العمل، وعن لغته الركيكة... لكن الاعتراضات لا تنطلق عموما من موقف نقدي دائما، فهي تمزج في الغالب بين الفني والشخصي في سيرة الممثل، والشخصية التي يجسدها على الشاشة، وقد تطور هذا المزج او الخلط في السنوات الأخيرة، ليطال الانتماء الديني للممثلين، حيث أثير مؤخرا كون رشيد عساف وبسام ياخور اللذان جسدا هارون الرشيد وخالد بن الوليد، يدينان بالديانة المسيحية... وهو ما أثار حساسية بعض المتشددين... وجعل من تجسيد سير الشخصيات التاريخية، حقلا مملوءا بالألغام الدينية والمذهبية أيضا... وهو ما يبدو انعكاسا لحالة الاحتقان التي يعيشها العالم العربي اليوم في شتى المجالات.. والتي أخذت تلقي بظلالها على عملية التلقي الفني.

أخيراً فقد أضحت دراما السيرة الذاتية اليوم، من أكثر أنواع الدراما اثارة للحساسيات والاعتراضات التاريخية والمعاصرة... الشخصية والموضوعية... الفكرية والفنية... وفي ظل حالة الهرج الاعلامي والبحث عن الاثارة التي تعني مزيدا من فرص التسويق لدى شركات الانتاج والمحطات.. سوف يختلط الحق بالباطل، ويتساوى الاعتراض المحق الذي ينطوي على تشويه وافتراء وجهل بالشخصية المستلهمة ومفردات عصرها، مع التعصب المتجني الذي يريد أن يرسم الخطوط الحمراء، كبديل لأي دراما لا تلتزم بالصورة المشرقة في رسم ملامح الفرد والعائلة والعصر!

* ناقد فني سوري

وارضيات